مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

مجلة الدراسات اللغوية

المجلد السابع والعشرون – العدد الأول (محرم – ربيع الأول ١٤٤٦هـ / يوليو – سبتمبر ٢٠٢٤م)

فصلية محكمة تعنى بدراسة النحو والصرف واللغويات والعروض

- الفتحة الطويلة في العربية بين القدماء والمحدثين (دراسة تاريخية وصفية)
- اختزال الدوائر العروضية (محاولة لإتمام مشروع الجوهري)
- الشّواردُ من أسماء الأرض وصفاتها في كتاب الجيم لأبي عمرٍو الشّيباني: دراسة لغوية
- هل الاسم العربي لا يجذب العملاء؟ (دراسة وصفية لتوجهات السعوديين نحو كتابة لوحات المحلات التجارية بلغة أجنبية)
- الجُمَلُ العِشْرِينِيَّةُ مِنَ القَوَانِينِ التَّصرِيْفِيَّةِ لأَبِي الطَّيِّبِ الحَسَنِ ابنِ يُوسُفَ الزِّيَاتِيِّ (ت:١٠٢٣هـ): دِرَاسَةً وَتَحْقِيقاً
- قراءة في تلقي المنهج الوصفي وتوظيفه (النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم أنموذجاً)
- كشاف مجلة الدراسات اللغوية (المجلد السادس والعشرون)

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

مجلة الدراسات اللغوية

رئيس التحرير
تركي بن سهو العتيبي

مدير التحرير
عبد العزيز بن علي الغامدي

فصلية محكمة تصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

المجلد السابع والعشرون-العدد الأول
(محرم - ربيع الأول ١٤٤٦هـ / يوليو - سبتمبر ٢٠٢٤م)

ترخيص وزارة الإعلام: ٤٧٠٩/أ/د
ردمد: ٨٥١٣-١٣١٩ الإيداع: ٢٠/٩٨٢

المحتويات

- الفتحة الطويلة في العربية بين القدماء والمحدثين (دراسة تاريخية وصفية) ٥
  عارف عبده سالم الكلدي
- اختزال الدوائر العروضية (محاولة لإتمام مشروع الجوهري) ٦٣
  ماجد بن هلال العصيمي
- الشّواردُ من أسماء الأرض وصفاتها في كتاب الجيم لأبي عمرٍو الشّيباني: دراسة لغوية ٩٧
  حنين بنت عبد الله محمد الشنقيطي
- هل الاسم العربي لا يجذب العملاء؟ (دراسة وصفية لتوجهات السعوديين نحو كتابة لوحات المحلات التجارية بلغة أجنبية) ١٤٣
  فهد بن صالح العليان
- الجُمَلُ العِشْرِينِيَّةُ مِنَ القَوَانِينِ التَّصرِيْفِيَّةِ لأَبِي الطَّيِّبِ الحَسَنِ بنِ يُوسُفَ الزِّيَاتِيِّ (ت:١٠٢٣هـ): دِرَاسَةً وَتَحْقِيقاً ١٨٧
  فهد بن حامد الزمَّاي
- قراءة في تلقي المنهج الوصفي وتوظيفه (النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم أنموذجاً) ٢٤٣
  محمد عبدو فلفل
- كشاف مجلة الدراسات اللغوية (المجلد السادس والعشرون) ٢٨٧
  مصباح محمد مصباح

عنوان المراسلة

مجلة الدراسات اللغوية
ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية - ناسوخ ٤٦٥٩٩٩٣
Journal of Linguistic Studies
P.O. Box 51049 Riyadh 11543 Saudi Arabia - Fax:4659993
البريد الإلكتروني
Arabic1433@kfcris.com Arabic1433@gmail.com

هيئة التحرير:

سيف بن عبد الرحمن العريفي
عبدالرحمن بن محمد العمار
فريد بن عبد العزيز السليم

الهيئة الاستشارية للتحرير:

- **إبراهيم بن سليمان الشمسان** ..... أستاذ النحو في جامعة الملك سعود.
- **بدر بن محمد الجابري** ..... أستاذ النحو في الجامعة الإسلامية.
- **سعد عبدالعزيز مصلوح** ..... أستاذ اللسانيات في جامعة الكويت.
- **عبدالرزاق بن فراج الصاعدي** ..... أستاذ علم اللغة في الجامعة الإسلامية.
- **عبدالله صالح بابعير** ..... أستاذ النحو في جامعة حضرموت.
- **عياد بن عيد الثبيتي** ..... أستاذ النحو في جامعة أم القرى.
- **فايزة بنت عمر المؤيد** ..... أستاذ النحو في جامعة الإمام عبدالرحمن الفيصل - الدمام.
- **محمد بن يعقوب تركستاني** ..... أستاذ علم اللغة المتفرغ.
- **محمودأحمد السيد نحلة** ..... أستاذ العلوم اللغوية في جامعة الإسكندرية.
- **مسعود صحراوي** ..... أستاذ اللسانيات في جامعة الأغواط بالجزائر.

ضوابط النشر:

١- أن يكون البحث ضمن اختصاصات المجلة، وهي الدراسات النحوية والتصريفية واللغوية واللسانية والعروضية.
٢- أن يكون البحث متسماً بالأصالة، وفيه جدة وابتكار.
٣- ألا يزيد البحث على خمسين صفحة متضمناً ملخصاً له.
٤- إرسال نسختين من البحث إحداهما بصيغة Word والأخرى بصيغة pdf على بريد المجلة المذكور على غلاف المجلة.
٥- ألا يكون البحث منشوراً، أو مستلاً من عمل علمي سابق، أو مقدماً للنشر في مجلة أخرى.
٦- دقة التوثيق والتخريج، وأن تكون هوامش كل صفحة أسفلها.
٧- أن يكون البحث مذيلاً بالمراجع كاملة البيانات.
٨- أن يكون البحث باللغة العربية.
٩- يلتزم الباحث بمراجعة بحثه وتصحيحه من الأخطاء اللغوية والكتابية بعد قبوله.
١٠- البحوث المقدمة للنشر ما لم ترد من المحكمين والمقبولة والمنشورة لا يجوز نشرها بغير إذن سابق من المجلة.

كل ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

أولاً : البحوث والدراسات

الفتحة الطويلة في العربية بين القدماء والمحدثين
(دراسة تاريخية وصفية)

إعداد:

عارف عبده سالم الكَلَدي

الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة عدن

• **ملخص البحث:**

اهتم هذا البحث بالفتحة الطويلة(aa) في اللغة العربية اهتماماً حاول الجمع في تصوُّرها بين معطيات الدرس اللغوي الحديث والدرس اللغوي التقليدي، إذ جمعَ تاريخها وصفاتها وتنوعاتها ووظائفها في مسرد واحد مختصر، ووصف مشكلاتها في الدرس اللغوي وفي مقررات تعليم الناشئة، وقد توصل إلى أن هذا الصوت -الذي يُعدُّ أحد فونيمات العربية الأربعة والثلاثين- قد شابَهُ نوع من اللبس في اسمه ورسمه وصفاته تعود جذوره إلى بدايات الدرس العربي، وهي الكتابة التي دخلت إلى جزيرة العرب قبل البعثة الشريفة بزمن ليس بالطويل، وفيها لم يكن لهذه الحركة الطويلة رمز ولا اسم، ثم أخذت مكاناً لها في الخط ملتبسةً رسماً بالألف والواو والياء، واسماً بالألف، إلى أن جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي فأضافها إلى الحروف الكتابية باسم الألف، وفصل بينها وبين الألف الأصلية (الهمزة) ولكنه كان فصلاً غير تام فاستمر اللبس بينهما بعده، كما حصل من جرَّاء هذه الإضافة أن تُصوِّرت الفتحةُ الطويلةُ صوتاً ساكناً له مخرج مثل بقية الصوامت على خلاف ما هي عليه في الواقع من كونها حركة لا مخرج لها، وقد خلص البحث إلى توصيات بتصحيح وصفها واسمها في درس العربية، وبالفصل التام اسماً ورسماً بينها وبين الهمزة، ورسماً بينها وبين الياء في مقررات تعليم القراءة والكتابة.

الكلمات المفتاحية: الفتحة الطويلة، الألف، الألف اللينة.

*****

المقدِّمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فالفتحة الطويلة (aa) هي أحد فونيمات اللغة العربية الأربعة والثلاثين، وعلى الرغم من أنها حركة لا تأتي في أصول الجذر في هذه اللغة الاشتقاقية إلا أنها من أكثر الأصوات حضوراً في مشتقاتها حتى أُطلق عليها لقب أم الزوائد، ولا يقتصر حضورها على المشتقات بل هي جزء أصيل من الكلمات غير المشتقة، سواء في الأسماء أو في الأدوات، وهي من أكثر الأصوات تنوعاً في لهجات العربية قديماً وحديثاً إذ تستحوذ ألفوناتها على حيز ست حركات معيارية من جدول دانيال جونز في تصنيف الحركات، وهي من الأصوات التي حصل فيها نوع من اللبس سواء في معطيات الدرس الصوتي والصرفي والنحوي، أو في مسألة الكتابة العربية وتعليمها للناشئة وغير الناطقين بالعربية. ولهذه الأسباب مجتمعة كان هذا البحث الذي حاول أن يلم شتات هذا الصوت في مسرد واحد، يجمع بين الدرس القديم والدرس الحديث، وقد حاول أن يدلي بدلوه في وضع حلول لمشكلاتها في ضوء الرؤية التي خلص إليها.

إن المعرفة متجددة، والعلم يُبنى بعضه على بعض، وليس من الإنصاف الفصل بين القديم والحديث، أو جعلهما نظامين منفصلين، ومنهجين متقاطعين، فإن هذا التصور يؤدي إلى خلق فجوة وقطيعة تؤدي إلى عواقب وخيمة بعزل ماضي الأمة عن حاضرها، وفي هذا السياق أشير إلى أن الدرس الصوتي الغربي الحديث بُني على تراث إنساني سابق، أبرزه الدرسان الصوتيان الهندي والعربي، وقد كان لعلمائنا العرب فيه مشاركة على مستوى عالٍ غير مسبوق في وقته نشأ في رحاب القرآن الكريم وقراءاته، تضافرت فيه جهود النحاة وعلماء القراءات، ومع هذا فإنه جهد بشري غير مكتمل، ولا سيما في مساق الحركات.

مشكلة البحث:

انطلق هذا البحث من مشكلة تتفرع إلى فرعين:

أحدهما: تتعلق بتعليم الناشئةِ القراءةَ والكتابةَ، فقد لحظ أن المقررات الدراسية تشتمل على أخطاء في تقرير الفتحة الطويلة، إذ يقدمونها بوصفها صوتاً ساكناً تسبقه فتحة قصيرة، فيكتبون رمز السكون فوقها، والفتحة قبلها، ولحظ أن الأغلبية العظمى من المعلمين لا يتصورون بما فيه الكفاية الفرق بين الفتحة الطويلة التي هي في الواقع حركة، والهمزة التي هي في الواقع صوتٌ صامتٌ، وهذا انعكس على تعليمهم للناشئة، وقد كان للباحث تجربة في هذا السياق كانت من محفزاته على هذا البحث، وهناك إشكالية تعليمية أخرى تتعلق بكتابتها واسمها، إذ إن اسمها مشترك مع الهمزة، وكتابتها مزدوجة فهي تارة تكتب برمز الألف وتارة برمز الياء.

والإشكالية الأخرى: تتعلق بتناول الدرس اللغوي التقليدي للفتحة الطويلة، فإنه يثير تساؤلات، منها أنه حدَّد لها مخرجاً من أقصى الحلق، فكيف يكون لها مخرج وهي حركة خالصة تمر مع الهواء دون أي عائق؟! ووصفها بالسكون، فكيف تكون ساكنة وحركة في الوقت نفسه؟! ووصفها بأنها مسبوقة بحركة من جنسها، فكيف تسبقها حركة من جنسها مع تقريرهم أنها امتداد للفتحة القصيرة؟ ووصفها بأنها من حروف العلة حتى تصوروا أن العلة مرادفة للحركة، وهذه الإشكالات أثارت تساؤلاً عند الباحث عن علاقة تصورها في الدرس اللغوي بمشكلة تعليمها للناشئة وغير الناطقين بالعربية.

هدف البحث وأهميته:

يهدف البحث إلى إيجاد حلول للمشكلتين السابقتين بمحاولة الفصل التام بين الفتحة الطويلة وبين الصوتين اللذين التبسا بها، وهما الهمزة

رسماً واسماً، واليـاء رسماً، وإلى تجديد تناولها في الدرس العربي بالجمع بين معطيات الدرس اللغوي القديم والحديث، وتقديم ذلك في مسرد واحد يحاول لَمَّ شتاتها، ومن هذا الهدف تتحدَّد أهمية البحث؛ إذ إنه يبني جديداً على أساس وضعه باحثون متقدمون.

الدراسات السابقة:

وقف الباحث على دراستين تناولتا الفتحة الطويلة موضوعاً لهما:

الأولى: للأستاذ الدكتور كمال محمد بشر، وهي جزء من مبحث عن الألف والواو والياء والهمزة ضمَّنه كتابه (دراسات في علم اللغة) يقع في ست وستين صفحة من القطع المتوسط، تشغل الألف (الفتحة الطويلة) منه ثمان عشرة صفحة، وكان ما يخصها من النظرة التاريخية قد نشره من قبل في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة الجزء الثاني والعشرين سنة ١٩٦٧م قبل أن ينشرها في كتابه هذا ويضيف إليها، وهي دراسة عميقة قام بها عالم من علماء العربية الكبار، ممن جمعوا بين الدرس القديم والدرس الحديث، تناول فيها تاريخ الألف ووَصْفَها مع إشارة مقتضبة لوظائفها وتنوعاتها، وهي دراسة من النوع الذي يفتح الآفاق للبحث العلمي والتقدم به، وقد أشار في مقدِّمة كتابه أن هذه الأفكار إجمالية تفتح المجال للمزيد من البحث والتفصيل، ثم إنه قام بتطوير بعض أفكاره في كتابه علم الأصوات الذي يعد من المراجع المهمة لهذا البحث، وإن كان من تشبيه بين بحثه وهذا البحث، فإن دراسته وضعت أساساً لبناءٍ يشمل الأصوات الأربعة (الألف والواو والياء والهمزة) فجاءت هذه الدراسة لتبني فوق الجزء الخاص بالألف، أو أن دراسته عن الألف فرع من شجرة بحثه المطول، فجاءت هذه الدراسة بمنزلة أغصان تمتد من ذلك الفرع، والبحث العلمي بطبيعته هو بناء المتأخر على جهود المتقدِّم، وتتميز هذه الدراسة عن دراسته بأنها حاولت جمع درس الفتحة الطويلة من الدرس القديم والحديث مما لم يذكره

الدكتور بشر، سواء من كتب النحو واللغة، أو من كتب علوم القراءات، وإيرادها في مسرد واحد يقربها إلى من رام تصورها، وبتفصيل أجمله الدكتور بشر ولا سيما في مسألة الوظائف والألفونات والأسماء والرسم، وخالفه في بعض وجهات النظر، وتتميز أيضاً بكونها ذات طابع عملي تنطلق من مشكلة التعليم.

والأخرى: للدكتور عبدالواحد عبدالحميد عنوانها: (الألف بين التحقق الصوتي والوظيفة الصوتمية)، وهي عبارة عن ورقة عمل تقع في خمس عشرة صفحة من القطع المتوسط، قدَّمها إلى ندوة علمية عنوانها: (الأصوات والصواتم في التراث العربي) عُقدت سنة ٢٠٠٥م في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس في تونس، ويدور بحثه حول فكرتين: الأولى: الدفاع عن سيبويه (ولم يذكر الخليل) في إضافة الألف (الفتحة الطويلة) إلى أحرف اللغة العربية، والثانية: الدفاع عن وصفهم للألف بالسكون، وخلص في المسألة الأولى إلى أن عَدَّ الألف ضمن الحروف لا بوصفها صوتاً له مخرج، وإنما بوصفها فونيماً (صوتماً) له وظيفة، وعلى هذا فإن الحركات كلها تدخل في تسمية الحرف، وهو قول يوافق الطرح الحديث، وقد سبقهم إليه ابن جني وابن يعيش، وأشار إليه أبو عمرو الداني، وآراؤهم في هذه المسألة منقولة في ثنايا هذا البحث. وأما مسألة سكون الألف فقد تبنى فيها فلسفة ابن جني في كتاب الخصائص، ورفض نقد المحدثين لتصور القدماء، وما طرحوه من أسباب لذلك التصور، ولكنه لم يفند هذا الرفض، وما أشار إليه في هذه القضية من أن القدماء لهم جهازهم المفاهيمي والاصطلاحي قد سبقه إليه الدكتور كمال بشر في دراسته المستفيضة عن السكون الذي ضمنه كتابه دراسات في علم اللغة، وطرح فيه أفكاراً جديدة في مسألة السكون. وقد تناول هذا البحث هذه القضية بوجهة نظر تختلف عن وجهة نظر الدكتور عبدالواحد.

منهج البحث والسير فيه:

اتبع البحثُ المنهجَ التاريخي ولا سيما في المبحث الأول، إذ تتبع تاريخ الفتحة الطويلة وحاول أن يفسر مشكلاتها في ضوء تاريخها، وعزَّزه بالمنهج الوصفي التحليلي، ولا سيما في المبحثين الثاني والثالث، إذ وصف هذا الصوت بصفاته من الدرس القديم والحديث، ووصف أيضاً جهود اللغويين قديماً وحديثاً، وحاول تحليلها في ضوء هذه المعطيات.

وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول اسمها رسمها، وتناول المبحث الثاني صفاتها الفوناتيكية وتنوعاتها الألفونية، وتناول المبحث الثالث وظائفها، وفي كل مبحث مطلبان، وختم البحث بخاتمة تضمنت توصيات.

وقبل الدخول إلى المباحث أسجل شكري للشيخ المقرئ الدكتور محمد منصر اليافعي، أحد المجازين بالقراءات العشر من طريق الشاطبية والدُّرَّة المضية وطيبة النشر، فقد كان مرجعي لسماع الفتحة الطويلة وتنوعاتها وتذوقها في القراءات، واستفدت منه فوائد قيمة في هذا السياق.

المبحث الأول: اسمها ورسمها

المطلب الأول: اسمها.

١- اسم الألف:

الألف هو أول صوت في الأبجدية العربية، سواء في الترتيب الأبجدي الذي كان معتمداً عند إدخال الكتابة، أو في الترتيب الأبتثي الذي وضعه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بعد وضع النقاط على الحروف، وهذا الاسم مشترك بين الفتحة الطويلة والوقفة الحنجرية (الهمزة) وإذا أُطلق في العصور المتأخرة تبادر إلى الذهن الفتحة الطويلة، ولكن الأمر لم يكن كذلك عند وضع الكتابة وفي المرحلة التالية لها، فإنه كان يطلق على الوقفة الحنجرية، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[(١)] وما رواه الفراء بسنده إلى تميم بن حذلم قال: «قرأت على عبد الله بن مسعود ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧] بتطويل الألف (آتوه) فقال: (وَكُلٌّ أَتَوْهُ) بغير تطويل الألف»[(٢)] فقوله: «بغير تطويل الألف» أي بغير فتحة طويلة بعد الهمزة، فعبر عن الهمزة بالألف، وعن الفتحة الطويلة بالتطويل، والدليل من النظر على كون الألف اسماً للهمزة أن أول أصوات كلمة «أبجد» هو الهمزة[(٣)]، وهو أيضاً أول أصوات كلمة «ألف» يقول ابن جني: «كل حرف سميته ففي أول حروف تسميته لفظه بعينه، ألا ترى أنك إذا قلت: جيم، فأول حروف الحرف «جيم» وإذا قلت دال، فأول حروف الحرف «دال» وإذا قلت حاء، فأول ما لفظت به حاء، وكذلك إذا قلت ألف، فأول الحروف التي نطقت بها همزة»[(٤)]، أي أن اسم الألف في مسرد الحروف للهمزة، وليس للفتحة الطويلة.

(١) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، جامع الترمذي (٥/ ٢٥).
(٢) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن (٢/ ٣٠١).
(٣) ينظر: بشر، كمال محمد، دراسات في علم اللغة، ص ٧٩.
(٤) ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب (١/ ٥٦).

معلوم أن الخط العربي في بدايته لم يكن يسجل الحركات القصيرة والفتحة الطويلة، وفي مرحلة من مراحل تطوره قبل نزول القرآن الكريم كانت الفتحة الطويلة قد بدأت تُسجَّل في الخط، تارة برمز الواو، وتارة برمز الياء، وتارة برمز الألف، وسيأتي مزيد من الإيضاح حول هذا في المطلب القادم، والذي يهمنا هنا أن الكُتّاب كانوا يستعيرون لها أحياناً رمز الألف، ثم صاروا يسمونها ألفاً على سبيل المجاز (الاستعارة) وكلما تقدم الزمن أخذت هذه الظاهرة تزداد حتى صار اسم الألف من المشترك اللفظي، إلى أن جاء الخليل ففصل بينهما رسماً واسماً؛ حينما أضاف الفتحة الطويلة إلى الأصوات العربية المكتوبة فصارت تسعة وعشرين بدلاً من ثمانية وعشرين، وأعطاها اسم الألف ورمزه، وأبعده عن الصوت الحنجري الصامت الذي أطلق عليه اسم الهمزة، واخترع له رمزاً جديداً هو رأس العين (ء)[1]. ولكن هذا العمل لم يقض على الاشتراك اللفظي حتى عند الخليل نفسه، فهو مثلاً عندما شرح معنى الأَنْقَلَس قال: «بنصب اللام والألف»[2]، فأسمى الهمزة ألفاً، وبقي الاشتراك اللفظي بعد الخليل، ومنه قول تلميذه سيبويه: «أمَّا ما لحقته **ألفا** التأنيث فخنفساء وعنصلاء، وقرملاء، فإذا حقَّرت قلت: قريملاء وخنيفساء وعنيصلاء، ولا تحذف كما تحذف ألف التأنيث، لأنَّ **الألفين** لَّما كانتا بمنزلة الهاء في بنات الثلاثة لم تحذفا هنا»[3]. وأسند الداني عن عثمان (وهو ورش) وسِقْلاب (وهو ابن شيبة من رواة نافع) أنهما قالا: «وإذا لقيت **ألفٌ ألفا** قطعتا من غير مدّ»[4] أي: لقيت همزةٌ فتحةً طويلة[5]، وعندما ألف أبو بكر الأنباري في القرن الثالث رسالة في الألفات خصصها **لأنواع الهمزات**، ولم يتطرق للفتحة الطويلة، ولكنه عندما وصل إلى همزة الوصل قال:

(١) ينظر الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين (١/ ٥٧).
(٢) ينظر الفراهيدي، العين (٥/ ٧٩).
(٣) سيبويه، عثمان بن قنبر أبو بشر، الكتاب (٣/ ٤٢٣).
(٤) الداني، عثمان بن سعيد أبو عمرو، جامع البيان في القراءات السبع (٢/ ٤٩٢).
(٥) يُنظر الداني، جامع البيان في القراءات السبع (٢/ ٤٩٢).

«فإن سأل سائل عن ألف الوصل، **أهمزة هي أم ألف**؟ قيل له: قال قطرب هي همزة كثرتها العرب فتركت؛ لأن **الألف** لا تحتمل الحركة، وهي في قال وباع وعماد وجماد **ألف** لا يُشك فيها»[(١)]، وعقد أبو منصور الثعالبي في كتابه في فقه اللغة فصلاً للألفات فعد منها سبعة عشر نوعاً خلط فيها بين الفتحة الطويلة والهمزة[(٢)]، وهذا يدل على أن الالتباس كان أمراً واضحاً عندهم، وللخروج منه كانوا يصفون الألفين بأوصاف تميز إحداهما عن الأخرى، ومما أُطلق على الفتحة الطويلة: الألف اللَّينة، والألف الممدودة، والألف الخفيفة، والألف المصوِّتة، والألف الكبرى، والألف الملساء، والألف الميتة[(٣)].

ومع مرور الزمن وبسبب عمل الخليل صار المتبادر إلى الذهن عند إطلاق الألف هو الفتحة الطويلة، ففي القرن الرابع نجد أبا عمرو الداني اضطر لشرح قول ورش وسقلاب السابق بقوله: «أي: إذا لقيت **ألف همزة**، ومعنى قولهما: قطعتا من غير مدّ، أي: طوّلت **الألف** وحُقّقت **الهمزة**»[(٤)]، ويضاف هذا إلى ما نقلناه عن ابن جني آنفاً في تسمية الألف، فإنه لم يذكر ذاك الكلام إلا والألف قد صار في أواخر القرن الثالث يطلق في الغالب على الفتحة الطويلة، وصار اسم الهمزة اسماً غالباً على الألف القديمة، حتى إذا جاء القرن التاسع ظن بعض علماء اللغة أن اسم الألف إذا أطلق على الوقفة الحنجرية إنما هو على سبيل المجاز[(٥)]، هذا الالتباس بين الاسمين سبَّب إشكالية في تعليم القراءة والكتابة، فإن كثيراً من المعلمين والمتعلمين لا زالت الصورة ملتبسة في أذهانهم حول الحرف الأول في ترتيب الحروف، فبينما حقيقته الوقفة الحنجرية الصامتة، يتبادر إلى أذهانهم الفتحة الطويلة الصائتة.

(١) الأنباري، أبو بكر بن محمد بن القاسم، كتاب مختصر في ذكر الألفات، ص٨٠.
(٢) ينظر: الثعالبي، عبد الملك بن محمد أبو منصور، فقه اللغة وسر العربية، ص٢٤١.
(٣) يُنظر: أبو شعر، عادل إبراهيم عبدالله، المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب، ص٧٥٨.
(٤) الداني، جامع البيان في القراءات السبع (٢/ ٤٩٢).
(٥) يُنظر: ديكنقوز، شمس الدين أحمد، شرح مراح الأرواح في علم الصرف، ص٥٦.

٢- أسماء أخرى للفتحة الطويلة:

لم يكن الألف هو الاسم الوحيد الذي أطلق على الفتحة الطويلة، بل أطلقت عليه أسماء أخرى[١]، منها:

٢-١: المدَّة: وقد أُطلق عليها لامتدادها من القصيرة، ولأن هواءها - عند النطق بها- يخرج ممتدّاً دون مخرج يحبس هواءها، وهي بسبب اتساع الفم تمتد أكثر من أختيها الكسرة الطويلة والضمة الطويلة[٢]، وهذا الاسم يعطي لها بدرجة أوضح إذا مُدّت على أكثر من ضعفي الفتحة، مثل: (سماء) و(الضالِّين) وللبحث عودة لأسبابها، وكان الخليل من أوائل من أطلق اسم المدة على الفتحة الطويلة في عدة مواضع من كتاب العين، نحو قوله: «تقول: هاء، وهاك، مقصور، فإذا جئت بكاف المخاطبة قصرت ألف هاك، وإذا لم تجئ بالكاف مددت، فكانت المدة في هاء خلفا لكاف المخاطبة»[٣]، وتبعه اللغويون والقُرّاء، ومنهم ابن جني من النحاة مثل قوله: «فأما المدة التي في نحو: قام وسار وكتاب وحمار، فصورتها أيضاً صورة الهمزة المحققة، التي في أحمد»[٤]، وأبو عمرو الداني من القُرّاء، فقد قال شارحاً بعد أن نقل بسنده عن أهل المدينة أنهم همزوا الألف بفتحة: «أي أتبعوا الهمزة مدّة، وهي الألف»[٥].

٢-٢: الفتحة: وسميت به باعتبار وضع الفم والشفتين، فإنهما يكونان مفتوحين عند إنتاجها، وأول من أطلق اسم الفتح هو أبو الأسود في مقابل الكسر والضم عندما قال للغلام الذي كان ينقط المصحف: «فإذا فتحت شفتي

(١) ينظر أبو شعر، المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب، ص٧٥٨.
(٢) ينظر: الداني، عثمان بن سعيد أبو عمرو، التحديد في الإتقان والتجويد، ص١٠٩.
(٣) الفراهيدي، العين (٤/ ١٠٢) وينظر (٧/ ١٤٢) و (٨/ ٩٣) و(٤/ ١٠٢)، وينظر الأزهري، محمد بن أحمد أبو منصور، تهذيب اللغة (١/ ٤٢).
(٤) ابن جني، سر صناعة الإعراب (١/ ٥٦).
(٥) الداني، جامع البيان في القراءات السبع (٣/ ١١٤٨).

فانقط واحدة فوق الحرف»[1] ثم أُطلق على الفتحة الطويلة لأنها امتداد لها، ومنه الأثر الذي رواه الداني بسنده عن أهل المدينة أنهم همزوا الألف **بفتحة**»[2]، وشرحها بقوله: أي «أتبعوا الهمزة مدّة، وهي الألف الفاصلة، وساغت العبارة عن **الألف بالفتحة** من حيث كانت مأخوذة منها ،كما عبّر النحويون القدماء عن الحركات بالحروف كذلك»[3]، يريد أنه كما أطلقوا اسم الألف على الفتحة فقد حصل العكس[4]، وقد أُطلق عليها اسم الفتحة في مقابل الإمالة، وفي مقابل ما يسمى التفخيم الشديد الذي يشبه الواو[5] وفيهما تضيق المساحة بين اللسان والحنك فلا يبقى الفم مفتوحاً مثل وضعه بالفتح.

٢-٣: الياء: وقد كانوا يطلقونه عليها إذا كتبت بالياء، وذلك إذا أميلت أو إذا كان أصلها ياء[6]، مثل: موسى وسجى وقلى، ومنه قول إبراهيم النخَعي: «كانوا يرون أنَّ **الألف** والياء في القراءة سواء»[7]. قال الداني شارحاً: «يعني بالألفِ والياءِ التفخيمَ والإمالة»[8] أي حالتين من حالات الفتحة الطويلة، فالتفخيم كانوا يطلقونه أحياناً على حالة الفتح مقابل الإمالة.

٢-٤: الهاوي: وأول من أطلق عليها هذا الاسم سيبويه، حين عدَّد الحروف من ناحية مرور الهواء فقال: «ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو.. وهي الألف»[9] وقد أخذه من

(١) الداني، عثمان بن سعيد أبو عمرو، المحكم في نقط المصاحف، ص٤.
(٢) الداني، جامع البيان في القراءات السبع (٣/ ١١٤٨).
(٣) الداني، جامع البيان في القراءات السبع (٣/ ١١٤٨).
(٤) ينظر: ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل (٥/ ٢٠٤).
(٥) ينظر: الداني، التحديد في الإتقان والتجويد، ص١٠٢.
(٦) يُنظر: الداني، عثمان بن سعيد أبو عمرو، الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة، ص ٢٤-٢٥.
(٧) الداني، الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة، ص٣٠.
(٨) الداني، الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة، ص٣٠.
(٩) سيبويه، الكتاب (٤/ ٤٣٥-٤٣٦).

قول الخليل عنه وعن الواو والياء: «إنما هي هاوية في الهواء»[1]، ثم استمر هذا الاسم من بعده[2]، ومنه قول ابن الجزري في القرن التاسع:

فالجوفُ للهاوي وأختيه وهيْ حروفُ مدٍّ للهواءِ تنتهي[3]

وبعد ما سبق بيانه فإن الذي يراه البحث هو تسميتها بالفتحة الطويلة، لأن اسم الألف مشترك بينها وبين الهمزة، واسم الفتحة مشترك بينها وبين الفتحة القصيرة، واسم المدَّة مشترك بينها وبين الكسرة الطويلة والضمة الطويلة، واسم الهاوي مشترك مع الضمة الطويلة والكسرة الطويلة، فضلاً عن أنه لم يشتهر، أما اسم الفتحة الطويلة فإنه خالص لها، وذلك لأن وصف الطويلة أخرج الفتحة القصيرة، وهو الذي يميل إليه الدرس الصوتي الحديث[4]، ومن فوائده أنه يثبِّت في أذهان المتعلمين أنها حركة ممتدة من الفتحة القصيرة وليست صوتاً ساكناً (صامتاً) كما يظنه أكثر الناس.

المطلب الثاني: رسمها.

الفتحة الطويلة حركة خالصة، والحركات لم تكن تُسجَّل في الخط العربي القديم الذي أُخذ من الخط النبطي الذي بدوره أُخذ من الخط الفينيقي، ففي الخط الفينيقي كانوا يكتبون مثلاً: (عمود -كتاب - جمل) هكذا (عمد - كتب - جمل)[5] ثم مع الزمن أخذت الضمةُ الطويلة والكسرة الطويلة تلتبسان في الخط النبطي والعربي بالياء والواو نصفي الحركة؛ لأنهما ضيقتان قريبتان منهما، وتخلَّفت الفتحة الطويلة عن أختيها لكونها متسعة بعيدة عن أي مخرج، فبقيت دون رسم ولا اسم، فالنقوش العربية الأولى والبرديات القديمة والمصحف الشريف

(١) الفراهيدي، العين (١/ ٥٧).
(٢) يُنظر: أبو شعر، المصطلحات الصوتية في التراث الصوتي عند العرب، ص٤٠٥.
(٣) ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، متن طيبة النشر في القراءات العشر، ص٣٥.
(٤) ينظر: بشر، كمال محمد، علم الأصوات، ص٤٣٠و٤٣٥.
(٥) ينظر: عبدالتواب، مشكلة الهمزة العربية، ص١٩.

لم تكن الفتحة الطويلة في الغالب مكتوبة فيها، مثل: (كتب =كتاب) (رجلن= رجلان) (المشرق والمغرب = المشارق والمغارب).

وفي المرحلة التي نزل فيها القرآن الكريم كانت قد بدأت تُكتب في الخط العربي على سبيل الاستعارة: أحياناً بالألف وأحياناً بالياء وأحياناً بالواو، فجاء رسم المصحف يحمل خصائص هذه المرحلة[1]، والحق أن استعارة هذه الرموز الثلاثة لم تكن خاصة للفتحة الطويلة، وإنما كانت تحصل عندما يستشعرون لبساً، مثل إلحاقهم الواو في «أولئك» فرقاً بينها وبين «إليك»، وإلحاقهم الألف في «مائة» فرقاً بينها وبين «منه»، وإلحاقهم الياء في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] فرقاً بين «الأيد» الذي معناه القوة وبين «الأيدي» التي هي جمع يد[2]، ومن هذا القبيل استعارتها للدلالة على الفتحة الطويلة إذا استشعروا اللبس، فإذا لم يستشعروه أبقوها دون رمز، وهو الغالب فيها.

١- كتابتها بالألف:

كان كُتّاب المصحف الشريف والكُتَّاب عموماً في تلك المرحلة إذا استشعروا لبساً يخص الفتحة الطويلة لا يرجع إلى الإمالة ولا إلى التفخيم الشديد يستعيرون الألف (ا) لإزالته، وكان هذا يكثر في وسط الكلام، مثل: (يَا عِبَادِيَ) [العنكبوت: ٥٦] (يَوْمَ التَّلَاقِ) [غافر: ١٥] (يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ) [ق: ٤١]. وأحياناً في آخره مثل: (خلا، صفا، دعا، الأقصا[3]) وفي هذا السياق نقل الداني عن غير واحد من علماء العربية منهم إبراهيم الزجَّاج أن دخول الألف للدلالة على الفتحتين الطويلة والقصيرة كان قبل الخط الذي كتب به المصحف[4]، وقال الزمخشري: «كانت الفتحة تكتب ألفاً قبل الخط العربي، والخط العربي اخترع

(١) ينظر: الحمد، رسم المصحف دراسة تاريخية لغوية، ص٣٠٢.
(٢) ينظر: الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص١٧٧.
(٣) ينظر: الحمد، رسم المصحف دراسة تاريخية لغوية، ص ٣١٣و٣١٤و٣١٨.
(٤) ينظر: الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص١٧٧.

قريباً من نزول القرآن»[1]. ولم يكن في أذهان الكُتّاب في تلك المرحلة ضابط واضح لكتابتها بالألف، إلا استشعار اللبس في ذهن الكاتب، وقد حاول غانم الحمد وضع مقاربة لهذه الاستعارة بناءً على ملاحظته أنها تثبت كثيراً عندما تكون الكلمة قصيرة وتأتي فيها الفتحة بين صامتين، مثل: (عام، خال، الجار، القاع) وتحذف في الكلمات الطويلة، والكلمات التي تتصل بضمير أو علامة بناء أو إعراب، ولكنه عاد وأكَّد على أنها مقاربَةٌ غير مطردة؛ فإن الكلمات القصيرة أحياناً تكتب دون ألف، والكلمات الطويلة تكتب أحياناً بالألف؛ بل إن الكلمة الواحدة تكتب مرة بالألف ومرة بحذفها[2]، ولهذا فإن الأقرب في تفسير هذه الظاهرة هو أنهم كانوا يضيفونها إذا استشعروا لبساً، فالكلمة الواحدة قد تثير لبساً بتقديرهم في سياقٍ ما فيضيفون الألف إليها، ولا تثيره بنظرهم في سياق آخر فلا يضيفونها، ولعل هذا الأمر هو الذي يفسر وجود ألفات في بعض مصاحف الأمصار غير موجودة في مصحف المدينة[3].

لكون الواو والياء قد استعيرتا لأختيها الضمة الطويلة والكسرة الطويلة وثبتتا عليهما لقربهما منهما، ولكون الأصل في الفتحة الطويلة هو الفتح لا الإمالة ولا الجنوح بها نحو الواو، فقد اطردت الألف مع الزمن للدلالة على الفتحة أكثر من أختيها، ثم كانت نقطة التحول في مسألة الرسم هي عمل الخليل حينما أضافها إلى الرموز الكتابية، وأعطاها رمز الألف واسمه بعد أن فصل الرمز عن الوقفة الحنجرية واخترع له رمز رأس العين (ء).

ولكن عمل الخليل هذا -مثل ما لم يخلصها اسماً كما سبق- فإنه لم يُخلِصها رمزاً كتابيّاً، بل بقي الرمز مشتركاً بينها وبين الهمزة، وهذا ما يدل عليه كلام ابن جني إذ قال: «فأما المَدَّةُ التي في نحو: قام وسار

(١) الزمخشري، محمود بن عمرو أبو القاسم، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٢٧٧).
(٢) ينظر: الحمد، رسم المصحف دراسة تاريخية لغوية، ص٣٠٧-٣٠٨.
(٣) ينظر: الداني، عثمان بن سعيد أبو عمرو، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، ص٩٦ وما بعدها.

وكتاب وحمار، فصورتها أيضاً صورة الهمزة المحققة، التي في أَحمد (احمد) وإِبراهيم (ابراهيم) وأُترجة (اترجة)، إلا أن هذه الألف لا تكون إلا ساكنة، فصورتها وصورة الهمزة المتحركة واحدة وإن اختلف مخرجاهما»[1] فقوله: صورته وصورة الهمزة واحدة يدل على أنهم لم يكونوا يكتبون رأس العين على الألف للدلالة على الهمزة، وإنما كانوا يميزون بينهما من السياق اللفظي، على أنه حتى بعدما مُيِّزت همزة القطع برأس العين على الألف بقي الاشتراك بين الفتحة الطويلة وهمزة الوصل، وإن كانت الفتحة لا تأتي بداية الكلمة، وهمزة الوصل لا تأتي وسط الكلمة ولا آخرها.

٢- كتابتها بالياء:

كما استعيرت الألف للدلالة على الفتحة الطويلة فقد استعيرت الياء أيضاً للدلالة عليها، وذلك في آخر الكلمة، مثل: (الموتى، السلوى، لليسرى، موسى، عيسى، إحديها بشريكم) وقد أضافوها لإزالة اللبس؛ فإنه لو لم يُضف رمز للفتحة الطويلة في نحو الكلمات السابقة، لكان اللبس واضحاً، وقد اختاروا الياء: إما بسبب الإمالة، وهو السبب الأساسي الذي كانوا يلاحظونه، أو وجود ياء منزلقة وهو ما يُعبَّر عنه في صرف العربية بأن أصلها ياء، وهذا السبب استنبطه علماء القراءات فيما بعد[2] لأنهم لحظوا أن الألف يكاد يطرد فيما كان من ذوات الواو ثلاثياً بعيداً من الإمالة، مثل: خلا، صفا، دعا، على أن هذا غير مطَّرد، فقد كانت أحياناً تكتب آخر الكلمة بالألف وليست من ذوات الواو، مثل: (الأقصا، عصاني، تولاه، طغا، سيماهم)[3] وقد استقرت قواعد الكتابة فيما بعد على أن الفتحة الطويلة تكتب آخر الكلمة بالياء، إلا إذا كانت ثلاثية ولامها المنزلقة واو، وهو ما عبَّروا عنه بأن أصلها واو.

(١) ابن جني، سر صناعة الإعراب (١/ ٥٦).
(٢) يُنظر: الداني، الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة، ص ٢٤-٢٥.
(٣) ينظر: الحمد، رسم المصحف دراسة تاريخية لغوية، ص ٣١٣، ٣١٤، ٣١٨.

٣- كتابتها بالواو:

كما استعيرت الألف والياء للدلالة على الفتحة فقد استعيرت أيضاً الواو، ولكنها أقل من أختيها، وقد اطَّردت في المصحف في أربع كلمات، وهي: (الصلوة - الزكوة- الربوا- الحيوة) ووجدت في كلمات أخرى مثل: (مشكوة- النجوة -منوة- الغدوة)[١] وأقرب تفسير لها هو لغة التفخيم الشديد، وقد كانت منتشرة في الحجاز إذ كانوا ينحون بها نحو الضمة الطويلة[٢]، وبها قرأوا القرآن الكريم في بيئتهم، لكنها انقرضت من القراءات المشهورة لأنه لم يخترها إمام من أئمة الإقراء[٣]، ولكن لها بقايا في بعض القراءات، وسيأتي الحديث عنها.

وقد نقل النووي عن الفرَّاء أنهم كتبوا الربا بالواو لأنهم تعلموا الخط من الحيرة ولغتهم الربو بالواو[٤]، وأيده في أصل الفكرة غانم الحمد وقاس عليها غيرها من الكلمات، ولكنه رجَّح أنها من أثر الأنباط وليس من الحيرة، واستدل ببعض النقوش القديمة التي تكتب الألف فيها بالواو[٥]، ولكن يبقى القول الذي ذهب إليه الخليل وسيبويه والفرّاء والداني هو الأرجح لأنهم يعتمدون على لغة مسموعة.

(١) ينظر: الداني، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، ص٦٠.

(٢) ينظر: الفراهيدي، العين (٣/ ٣١٧)، وسيبويه، الكتاب (٤/ ٤٣٢) والفراء، يحيى بن زياد، كتاب فيه لغات القرآن ص٤٦، والداني، الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة، ص٢٠.

(٣) يُنظر: الداني، التحديد في الإتقان والتجويد، ص١٠٢.

(٤) ينظر: النووي، يحيى بن شرف أبو زكريا، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١١/ ٨) ولم أقف عليه عند الفراء، ولعل النووي اعتمد على نسخة من رسالة (كتاب فيه لغات القرآن) غير المخطوطة التي اعتمد عليها ناشر الرسالة.

(٥) ينظر الحمد، رسم المصحف دراسة تاريخية لغوية، ص ٣٥٣.

٤- قضية توحيد رسمها:

انقرضت كتابة الألف بالواو في الرسم العربي، وبقيت في رسم المصحف الشريف للمحافظة على تواتر المصحف العثماني، ولكن الاشتراك بين الألف والياء استمر ومازال مستمرّاً، وهو ما سبب إشكالية عولجت بوضع قاعدة، وهي كتابتها بالألف في وسط الكلمة مطلقاً، وكتابتها بالياء آخر الكلمة إلا إذا كانت ثلاثية منقلبة عن واو، وقد انتقد أبو علي الفارسي هذه القاعدة، وفنَّدها من أوجه عديدة، نحاول تقريبها بما يلي[1]:

الأول: أن التي أصلها واو تُكتب بالألف، وليس بالواو، فإذا كانت علة كتابتها بالياء أن أصلها ياء، فالمنطق والقياس أن تُكتب ما أصلها واو بالواو، وليس بالألف.

الثاني: أنهم في غير الثلاثي يكتبونها آخر الكلمة بالياء مطلقاً، حتى وإن كان أصلها واواً، وعلى هذا فإن مسألة الأصل غير مطردة.

الثالث: أن التي من ذوات الياء تُكتب ألفاً إذا اتصل بها ضمير، مثل: رماه، ورآه.

الرابع: أنهم لم يعتبروا أصلها في وسط الكلمة، نحو: قال وباع وموسر وموقن.

الخامس: أنهم لم يعتبروا الأصل في غير الألف، نحو: بناء، وسماء، إذ أصل الهمزة في الأول واو، وفي الثاني ياء، ومثل: اصطبر، وازدهر، كتبوهما على اللفظ مع أن أصلهما (افتعل).

السادس: لا يصح لهم الاحتجاج برسم المصحف، لعدم اطراد قاعدتهم في رسم المصحف، ولمخالفة الرسم الإملائي لرسم المصحف في مواضع كثيرة، منها كتابة الفتحة الطويلة بالواو.

(١) يُنظر: الفارسي، الحسن بن أحمد أبو علي، المسائل الحلبيات، ص٩٣-٩٦.